سارتر وسؤال ما الأدب

ولد جان بول سارتر Jean-Paul Sartre بباريس سنة 1905 وتوفي سنة 1980 وهو فيلسوف وروائي وكاتب مسرحي وكاتب سيناريو وناقد أدبي وناشط سياسي فرنسي. بدأ حياته العملية أستاذاً. درس الفلسفة في ألمانيا خلال الحرب العالمية الثانية .حين احتلت ألمانيا النازية فرنسا، انخرط سارتر في صفوف المقاومة الفرنسية السرية.(1) عرف سارتر واشتهر لكونه كاتب غزير الإنتاج، ولأعماله الأدبية وفلسفته المسماة بالوجودية، ويأتي في المقام الثاني التحاقه السياسي باليسار المتطرف.

من أشهر مؤلفات سارت –التي تظهر فيها فلسفته النقدية– كتاب "ما الأدب" ، وهو عمل فلسفي أدبي مهم جدا، يبحث فيه عن تعريف الأدب ودوره في المجتمع. يرى سارتر أن الأدب ليس مجرد ترفيه أو تعبير عن الذات، بل هو عمل ملتزم بقضايا المجتمع والإنسان. وقد حوى هذا الكتاب مجموعة فصول رتبها سارتر على النحو الآتي:

–ما الكتابة؟

–لماذا نكتب؟

–لمن نكتب؟

–موقف الكاتب عام 1947 .

وبتأمل الكتاب يمكن إيجاز أهم ما طرحه سارت في النقاط الآتية:

–**الأدب والالتزام:** يعتبر سارتر أن الكاتب لا يمكن أن يكون محايدًا، بل يجب أن يتخذ موقفًا من القضايا الاجتماعية والسياسية.. وفكرة سارتر عن الأدب كالتزام هي حجر الزاوية في نظريته الأدبية، وتتجاوز كونها مجرد رأي شخصي لتصل إلى كونها "منهجًا نقديًا يؤثر في فهمنا للأدب ودوره في المجتم ع".

فما المقصود بالالتزام؟ عندما يتحدث سارتر عن الالتزام، فهو لا يقصد مجرد التعبير عن رأي شخصي، بل "التورط الفعلي في قضايا المجتمع"(2). الكاتب الملتزم، بحسب سارتر، هو الذي يعي دوره في المجتم ع ويدرك أن أدبه ليس مجرد منتج فني، بل أداة للتأثير والتغيير .وتبعا لذلك الأدب يتخذ موقفًا واضحًا حيث لا يتردد الكاتب في التعبير عن آرائه حول القضايا الاجتماعية والسياسية، ولا يخفي انتما ءه

الفكري، بل يجب أن يكون مسؤولا عن استخدام موهبته لخدمة الإنسانية. فالكاتب يحمل مسؤولية أخلاقية تجاه المجتمع. والأدب يمكن أن يكون سلاحًا فعالًا في النضال ضد الظلم والاستبداد.

وتأتي روايةٍ سارتر "الغثيان" كأنموذج في هذا السياق حيث تجسد هذه الرواية فلسفة الوجودية، وتتناول قضايا الحرية والمسؤولية والغربة، غربة الإنسان في عالم اليوم.

-**الكاتب كإنسان:** يربط سارتر بين الكاتب وعمله، فالأدب عنده هو انعكاس لوجود الكاتب في العالم. الكاتب من خلال كتاباته يخلق ذاته ويختبر حريته. وتعتبر فكرة ربط سارتر بين الكاتب وعمله من أعمق الأفكار التي طرحها في كتابه "ما الأدب؟". فالأدب عنده هو انعكاس مباشر لوجود الكاتب في العالم، وطريقة لتجسيد تجربته الإنسانية الفريدة. "فللكاتب كبطل رواياته"(3)، إنه لا يكتب فقط عن شخصيات خيالية، بل يكتب أيضًا عن نفسه. فالشخصيات التي يخلقها هي امتداد لشخصيته، وتجسيد لمخاوفه وآمالها وتجاربه. والأدب من جهة أخرى "اكتشاف للذات" (4) فمن خلال الكتابة، يستكشف الكاتب ذاته، ويكشف عن جوانب خفية من شخصيته. فالعمل الأدبي هو رحلة داخلية للكاتب، يكتشف فيها حقيقته ووجوده. والأدب "تعبير عن الحرية"(**5**) إذ يرى سارتر أن الحرية هي جوهر الوجود الإنساني، وأن الكاتب من خلال كتاباته يؤكد على ذلك الجوهر. فالأدب هو وسيلة للتعبير عن الذات بشكل حر ومستقل.

والأدب عند سارتر -إضافة إلى ما سبق- هو "شكل من أشكال الخلود"(**6**) فللأعمال الأدبية تعيش بعد موت مؤلفيها، وبالتالي تحقق نوعًا من الخلود للكاتب.

وعموما فللكاتب والأدب وجهان لعملة واحدة. فالأدب هو انعكاس لوجود الكاتب، وطريقة لتجسيد تجربته الإنسانية الفريدة. من خلال الكتابة، يخلق الكاتب ذاته ويختبر حريته، ويتجاوز حدود الواقع الملموس. هذه الفكرة تجعلنا ننظر إلى الأدب بطريقة جديدة، ونقدر الدور الهام الذي يلعبه الكاتب في خلق المعنى.

-**الأدب والواقع:** يرى سارتر أن الأدب لا ينفصل عن الواقع، بل هو وسيلة لفهم الواقع وتغييره. الكاتب يقدم رؤية جديدة للواقع من خلال كلماته، ويمكن أن يساهم في تغيير المجتمع.

-**اللغة والأدب:** يولي سارتر أهمية كبيرة للغة، ويعتبر أنها أداة أساسية في خلق المعنى. اللغة هي التي تشكل الواقع وتجعله مفهومًا. فهي ليست مجرد وسيلة للتواصل، بل أداة أساسية في تشكيل واقعنا وفهمنا للعالم. إنها الأداة التي نستخدمها لبناء عالمنا الرمزي، عالم الأفكار والمشاعر والمعاني.

واللغة ليست مجرد وسيلة للتعبير عن الذات أيضا، بل هي أداة لبناء الذات نفسها. من خلال اللغة، نحدد هويتنا، ونعبر عن أفكارنا ومشاعرنا، ونشكل صورة عن أنفسنا في عيون الآخرين. **و**مفهوم اللغة عند سارتر يرتبط ارتباطًا وثيقًا بالوعي. فالعالم الذي نعرفه هو عالم لغوي، عالم من المعاني التي نكتسبها من خلال اللغة. **ثم إن** اللغة هي أداة الحرية. فمن خلالها ، يمكننا التمرد على القيود الاجتماعية والثقافية، وابتكار عوالم جديدة

والأدب من هذه الناحية هو تجربة لغوية فريدة، حيث يستخدم الكاتب اللغة بطرق مبتكرة وخلاقة. من خلال اللغة، يخلق الكاتب عوالم جديدة، ويستكشف أعماق النفس البشرية، ويتحدى القراء على إعادة التفكير في واقعهم.

-**الأدب والوجودية:** يربط سارتر بين الأدب والوجودية، حيث يرى أن الأدب هو "وسيلة لاستكشاف معنى الوجود الإنساني"(7). الكاتب من خلال كتاباته يبحث عن معنى حياته ومعنى العالم من حوله. وهو لا يقدم لنا مجرد قصص وشخصيات، بل يكشف لنا عن أعماق النفس البشرية، ويساعدنا على فهم أنفسنا والعالم الذي نعيش فيه بشكل أفضل. إن الإنسان، حسب سارتر، لا يولد مع جوهر محدد أو هوية ثابتة، بل يخلق هذه الهوية من خلال اختياراته وأفعاله. والأدب هو مكان لتجسيد هذه الخيارات والاكتشافات.

إلى جانب هذا يرى سارتر أن الإنسان حر في اختيار مصيره، ولكنه مسؤول عن هذا الاختيار. في الأدب، يتجلى هذا المفهوم في شخصيات تبحث عن معنى لوجودها، وتواجه تحديات مصيرية تتطلب منها اتخاذ قرارات حاسمة. **إن** الإنسان يشعر بقلق وجودي بسبب إدراكه لمحدودية وجوده ومواجهة الموت. هذا القلق هو المحرك الأساسي للبحث عن المعنى. وفي الأدب، يتجسد هذا القلق في شخصيات تعاني من الوحدة والعزلة والبحث عن الهوية.

ويجيب كتاب سارتر عن علاقة الأدب بالوجودية وكيف يعبر الأدب عن الأفكار الوجودية بأن الكاتب يفعل ذلك من خلال:

-**الشخصيات الوجودية** :غالبًا ما نجد في الأدب الوجودي شخصيات تبحث عن معنى لحياتها، تعاني من الوحدة والغربة، وتواجه صراعات داخلية.

-**التركيز على الوعي الذاتي** :يستكشف الأدب الوجودي عمق الوعي الإنساني، وكيف يؤثر على تصوراتنا عن العالم وأنفسنا.

-**التساؤل عن الحرية والمسؤولية** :يطرح الأدب الوجودي أسئلة حول طبيعة الحرية، وكيفية تحمل مسؤولية قراراتنا.

-**استكشاف الموت والمعنى** :يتناول الأدب الوجودي موضوع الموت بشكل مباشر، ويبحث عن معنى الحياة في مواجهة الموت الحتمي.(8) ومثل هذه القضايا هي التي عبرت عنها تماما رواية "الغثيان" لسارترالتي تجسد بوضوح أفكار سارتر الوجودية، حيث تروي قصة شاب يشعر بالغثيان من وجوده ومن العالم من حوله.

يمكن القول في الأخير إن سارتر مثل بحق أنموذج المثقف الوفي لأفكاره، فكان نضاله الأدبي في انسجام مع نضاله الواقعي وهو اليساري الذي آمن بحق الجميع في الحياة الحرة.